



جديد من كتب المفكر اليوغوسلافي علي عزت بيغوفيتش والمفكر الباكستاني أبي الأعلى المودودي والعراقي الإيراني د. علي شريعتي. حين كان يرى المادية الجدلية نظرية سليمة يصل إليه كتاب «الإسلام بين الشرق والغرب» لبيغوفيتش. والفكرة الرئيسية التي قدمها بيغوفيتش في هذا الكتاب «قطبية الإسلام الثنائية» (Bipolarity of Islam). وهي قوة الإسلام لتوليف النقيضين. خصوصية الإسلام تركز على وسطيته وطبيعته الجدلية. ويقول وبما أن التناقض حقيقة فإن البصيرة عن العلائق الثنائية هذه في الإسلام إنما تشير إلى شمولية فلسفته. منذ سقراط، عالج الفلاسفة هذه الثنائية بطرق مختلفة. ونجد في الفلسفة مختلف الجدليات مثل الجدلية السقراطية والجدلية الكارثيسية والجدلية الهيكلية كما نجد الصور البدائية منها في رؤية كنغوسوس ومواعيط بوذا. المادية الجدلية لما ركس هي الطبعة الحديثة منها. وقد قال بيغوفيتش إن نظرتة إلى الإسلام ليست على أنه تعليمات دينية، بل على أنه رؤية عالمية. وفي رأيه هناك ثلاث وجهات نظر تجاه العالم «وجهة نظر مادية ووجهة نظر دينية رهبانية ووجهة نظر إسلامية. ويقدم بيغوفيتش الإنسان الناشئ من نظرية الارتقاء لداروين والإنسان الذي صورته الفنان مايكل أنجلو على جدران كنيسة «سيستين» في الفاتيكان مثالين لهاتين النظرتين ويضع وسطهما الإسلام، وذلك أيضا مع استيعاب كل من داروين ومايكل أنجلو. وفي كتاب آخر بعنوان «الإعلان الإسلامي»، أشار بيغوفيتش أن العقبتين الكبيرتين أمام إصلاح الإسلام هما الحداثيون المندھشون بالثقافة الغربية والعلماء التقليديين. الحداثيون رفضوا نظام قيم الدين كاملة. أما العلماء المحافظون فتركوا لب الدين متمسكين بقشره الأجوفا.

ومن روائع الكتب التي غيرت بوصلة حياة المؤلف «تفهم القرآن» و«الخلافة والملوكية» للأستاذ المودودي و«دين ضد الدين» و«مقالات في العلم الاجتماعي» للدكتور علي شريعتي. وقد قام مفصلا بتحليلات شيقة عن أفكار هذين العملاقين كما ألقى ضوءا على أفلام عالمية ذات علاقة بالكتب التي تمت مراجعتها، ولكن لا تسمح لذكرها المساحة. كما تقول شخصية في أحد أعمال جورج آر. آر: يعيش من يقرأ ألف حياة قبل موته، في حين يعيش من لا يقرأ حياة واحدة فقط. تنطبق هذه المقولة على الكاتب أيضا. وهذا الكتاب يشهد باطلاعه الواسع على وافر من كتب متنوعة وأفلام عالمية.

– الكتاب: الحاسة الثامنة

– المؤلف: محمد شميم

– الناشر: Pendulum Books نيلامبور،

كيرالا، ٢٠١٨، باللغة مالايا

– عدد الصفحات: ٩٤ صفحة

* مستعرب هندي



الحركة تأثرت بالمبادئ الدينية كانت شديدة المعادية للأديان والأحزاب السياسية المؤسسية. زعموا أن أمثال هذه المؤسسات تلوّت براءة الإنسان الطبيعية. اعتقدوا أن الشخص ما دام حرا ومعتمدا على ذاته يكون ذا خلق كريم؛ لأن كل إنسان رباني في داخله. والحرية عنصر يوسع هذا الجزء من الربانية. أما المؤسسات الدينية والسياسية فإنها تعرقل هذه الحرية. هنا تتخذ الفلسفة المتعالية موقفا لصالح مذهب الفردانية (Individualism)، ولكنها لا تتحول إلى مذهب فرداني ليبارالي يرفض القيم الدينية ذاتها. كان من أهم كتب تورو، أحد رواد حركة حماية البيئة والمعادي الشديد للرق، كتاب «عن العصيان المدني». حركة المقاطعة البريطانية لغاندي تنتمي لهذا الكتاب. تورو كان مصدر استلهام لكل من مارتن لوتر كينغ وتولستوي. الأنبياء أيضا في نظر الكاتب ممن أنكروا النظم القائمة والتقاليد السائدة. يقول إنما فعلوا في الحقيقة أن رفضوا السلطة (Power) ووضعوا مكانها المسؤولية. وفي نظر الإسلام كل الناس مسؤولون. وعلى أساس رفض الأنبياء النظام القائم يسميهم الكاتب فوضويين؛ لأنه إلى حد ما هو نفس وجهة نظر الفوضويين. ولكن الأناركية الفردانية والإنقلاب الفوري بدون انضباط وإمارة غير مقبول لدى الأنبياء. وهم كانوا قائلو التغيير التدريجي. وينقل المؤلف هنا قول المسيح «إن مثل مملكة الرب كبذور سمسم تثبت تدريجيا». والتغيير أيضا يتحقق تدريجيا مثل البذور.

ومن الكتب التي مر عليها خلال بحثه عن سر الوجود «الفلسفة الهندية» للكاتب اليساري «ديفي برساد تشاتوبادهايا» و«الفلسفة الهندوسية» للفيلسوف الهندي الكبير ورئيس الدولة الأسبق أس. «رادهاكريشان» مذهب بوذا ل. د. أمبيدكار صاحب الدستور الهندي وقائد المنبوذين وغيرها من الكتب الفلسفية. وأخيرا يكتشف الإسلام من

معنى ووجود حقيقي هو في نظره الموت. Stranger و Outsider وغيرهما من كتبه خير دليل على ذلك. وفي المرحلة الثانية نراه نائرا حين يعرف أن النظرية العيبية لا توصله إلى شيء. التحدي الناتج من هذه الحالة يتحول دعوة إلى الاستمتاع بالحياة. وكتابه «طاعون» تنعكس فيه فكرة تتجه إلى قيم تعطي للحياة معنى. والمرحلة الثالثة من حياته هي العودة إلى ذاته. وفي نهاية هذه المراحل نراه يقفز فجأة إلى كنف الله تعالى. وقد قارن جوستين غاردر (Jostein Gaarder) هذه المراحل في كتابه «عالم صوفي» (Sophie's World) مع تجارب «راسكولينكوف» البطل في رواية «الجريمة والعقاب» ل«دوسوفسكي». وهنا يذهب الكاتب إلى ما ورد في القرآن من ثلاث مراحل للنفس الإنسانية: النفس الأمارة (بالسوء) والنفس اللوامة والنفس المطمئنة، ويقول إن كلمة النفس هنا تؤخذ بمعنى كلمة Self في اللغة الإنجليزية مؤكداً بأن المصطلحات القرآنية مثل النفس والروح لا تطابق مغزى ما ورد من تلك الكلمات في الفلسفة المثالية (Idealistic Philosophy).

وفي رحلة الكاتب بحثا عن سر الوجود، تتناول أيضا قراءته كتابا صادرة في موسكو حول النظرية الماركسية مثل سلسلة أبجديات الاشتراكية وأبجديات المادية الجدلية وأبجديات الماركسية - اللينينية بالإضافة إلى سيرة حياة كارل ماركس وأنجلز التي كتبها «أندريه ستيبانوف». بحيث أن المؤلف ابن «بروليتاريا» كان له ميول إلى الشيوعية في عنفوان شبابه. قرأ في هذه الفترة On Religion و A Contribution to the Critique of Hegel's philosophy of Rights of Anti Dhuring لأنجلز و contradiction لما تسي تونغ، ويقول إن نظرية ماركس دقيقة وواضحة، وإن من ميزة الماركسية أنها استطاعت تقييم الأديان وانتقادها مع الاعتراف بفضيلتها وأهميتها دورها في التاريخ.

وفي مقال بعنوان «الثورة والتغيير» نجد تحليلات ملحوظة عن الفلسفة الفوضوية (Anarchism). وهي كلمة مشتقة من أصل يوناني Anarchia، an معناه بدون و Archos معناه قائد أو حاكم يعني حالة بدون قائد أو حاكم. الفوضويون هم المفكرون ضد النظام. فجميع المتمردون ورافضي التقاليد القائمة والخارجين على النظام فوضويون. وفي هذا المعنى يُعد فيهم الأنبياء والفلاسفة بما فيهم ماركس وتولستوي وغاندي. كان هينري ديفيد تورو من مصدر استلهام غاندي. إنما تعرف نظريته باسم «الفوضوية الهادئة» (Pacifist Anarchism). تورو كان المصدر لمبدأ غاندي اللانغف. كان تورو عضوا في حركة «الفلسفة المتعالية» (Transcendentalism) الرائدة في الولايات المتحدة الشرقية. وهم كانوا ممن يعتقدون بطيبة الإنسان والطبيعة الأصلية. ولو أن هذه



الحاسة الثامنة محمد شميم

فيلابوراتو عبد الكبير *

هذا الكتاب رحلة فكرية شيقة ومفيدة على مطية كتب متنوعة المواضيع. يشرح الكاتب من خلالها كيف أن العشق للكاتب ساعده على تشكيل حياته الفكرية وتصحيح وجهة نظره إلى الحياة. ولكن اللافت فيه أنه ليس بسيرة حياته بمعنى الكلمة. وخلال هذه الرحلة نلتقي عددا من الفلاسفة والأدباء كما نشاهد أفلاما عالمية ونعيش لحظات في فضاء تخمره إيقاعات موسيقى. يبحث الكاتب عن أجوبة لأسئلة تصدر من داخله خلال تجواله الفكري هذا واللقاء مع المفكرين. نقرأ فيه تحليلات دقيقة عن النظريات الأناركية والوجودية والعقلانية والماركسية والفلسفات الدينية، ويستعرض تاريخ المعارك الفكرية والعنصرية ليغربل من بين تلك الأفكار الرؤية الإنسانية الخالصة.

كيف نقرأ الكتب ونتعامل معها؟ لماذا نقرأ الكتب؟ نجد في هذا الكتاب الإجابة لهذا السؤال. ويعترف الكاتب بأنه قد تكون لهذا السؤال إجابات أخرى. ولكن المهم هي الأسئلة. ويحكى رأي الفيلسوف سقراط الذي يؤكد على نسبية الإجابات لأي سؤال يُطرح.

هي التي تعد حواس الجسد. أما الحواس الثلاث المتبقية هي النفس والعقل والشعور. وفي عبارة أخرى الفكر والإحساسات والتجارب. وكمال المعرفة يقوم على قواعد هذه الحواس جميعا.

ويقول إن الكتب هي التي تساعد على توسيع إطار الفطرة التي فطر الله عليها الناس؛ لأنها تجعل المنطق راسخ الجذور. والمنطق هو من قواعد الإيمان على حد قوله. ويؤكد بأنه يؤمن بالله لأن الكفر مستحيل. ولكن طفولته كانت بعيدة عن الوعي الديني حيث كان تعليمه محدودا داخل المدارس العامة الحكومية استثناء من التقليد الراجح بين المسلمين بإلحاق أولادهم في المدارس الدينية ليتعلموا الدينيات في فترة صباحية قبل بدأ حصص الدروس في المدارس الحكومية، كان مولعا بالمطالعة في مرحلة دراسته الابتدائية. وفي مرحلة المراهقة استحوذت عليه الفكرة العقلانية الإلحادية نتيجة لطبيعة قراءته المعادية للدين. هي كانت مرحلة الشكوك. ولكن الشك كان بمثابة عتبة الإيمان. ويعترف بأن القراءة هي ذاتها وصلته من شكوك البحار الزاخر إلى بر أمان الإيمان الهادئ. كانت هذه القراءة جزءا من بحثه عن وجوده. خلال هذا البحث مر على كتب فرانز كافكا وألبير كامو ودوستويفسكي وجان بول سارتر التي تتناول الجانب الداخلي والوجودي للنفس البشرية. لم يكن اهتمامه بالجانب الإبداعي لتلك الكتب بل كان بجانبها الفلسفي الوجودي. الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يشعر بوجوده. لذا، يرى سارتر أن «الأنا» له أهمية ذاتية. ليس للإنسان خلود. وهو ملعون لتجديد ذاته. نحن مثل الممثلين المطروحين على خشبة المسرحية دون أن نعلم الحوار. سارتر يرى حرية الإنسان لعنة عليه. لا مناص له من مسؤولية أعماله. ولكن الإنسان الذي أحرز «التقدم» بعد انحطاط سلوكه إلى منزلة الخنازير يُحمل مسؤولية أخطائه على جده آدم.

أما كامو فكانت لحياته ثلاث مراحل؛ في المرحلة الأولى رأى الحياة عبثا ليس لها معنى. المبدأ الوحيد الذي له

إصلاحها. إنما تنهار الأخلاق وتهدم الحضارة في حين الحرمان من معرفة غرائز النفس الإنسانية حق معرفتها. الشهوات والغرائز قوى طبيعية لتحقيق أهداف الحياة. لا يستطيع الإنسان إحراز التقدم بدونها. بنى الإنسان حضارته على قواعد غرائزه النفسية. نقرأ في علم النفس الجديد عن «الطاقة اللبية» (Libidinal energy). وهذا المصطلح قد استعمله الإمام الغزالي قبل قرون، وذلك في عبارة «القوة الشهوانية». فكرة الزهد مبنية على أساس أن الطريق إلى تغلب الشهوات إعدامها. وهي فكرة لا بقاء لها. ويشير إلى مثال لبطلان هذه الفكرة من قصة حياة الزاهد «فيبهانداهاكان» التي ورد ذكرها في ملحمة «ماها بهاراتا» الهندية. اعتقد «فيبهانداهاكان» أن ابنه «إريشيا شرينغان» نتيجة ذنب من جانبه؛ فاتخذ قرارا بأن لا يتكرر هذا الخطأ من جانب ابنه فقام بترتيبات صارمة لتربيته داخل أعماق غابة بعيدا عن نون النسوان. ولكن العشق شق الطريق إلى صدر «إريشيا شرينغان» في صورة عاهرة اسمها «فيشالي». انهارت أمامها جميع الواقيات التي رتبها الوالد لحماية ابنه. اضطر «فيبهانداهاكان» لأن يقف واجما لما ارتحل «إريشيا شرينغان» الذي عرف المرأة والشهوة ممسكا بيد تلك المومسة. الفكرة المادية تنقل زمام الحياة إلى يد الشهوات بينما تحاول الروحانية البحتة استئصال تلك الشهوات. كلاهما مرفوضان في نظر القرآن؛ لأنها يجعلان الإنسان منقبضا في داخله. الأول يفتح أبواب اللذات أمام الإنسان على مصاريعها بلا قيد ولا حد بينما الثاني يمنعه من جميع الالتزامات نحو مجتمعه. ويشير الكاتب إلى أن أبا البشر آدم لما أراد الله خلقه لم يتركه وحده في الجنة بل جعل له زوجة. عاش آدم في الجنة وهو يحس ريحة زوجته.

ويقسم المؤلف حواسنا إلى حقلين: حقل الجسد وحقل الشعور. الجسد صورة والشعور فكرة. اللذة حاسة اللسان، والريحة حاسة الأنف، والصورة حاسة البصر، والصوت حاسة الأذن، واللمس حاسة البشرة، هذه الحواس الخمس

وفي أحد الفصول من الكتاب -نقلا عن الأديب الناقد في لغة «ملايالام» أم. كريشنان ناير- يضرب الكاتب مثلا للقراءة النموذجية. حين تزورون أحدا من أصدقائكم في بيته يقدم لكم كوبا من الشاي. ولكن بعض الناس يستغرق في الحديث مع المضيف وهو يتجاهل الشاي أو يتظاهر بعدم رغبته في الشاي. وإن يُذكره المضيف من حين لآخر بأن الشاي سيبرد لا يهتم به. وأخيرا قد يحتسي الشاي البارد. والبعض الآخر يشرب الشاي الساخن فور تناوله إياه فيحترق لسانه وشفته ويصبح عرضة للسخرية. والفئة الثالثة يرشفه قليلا قليلا باستمتاعه خلال محادثته مع صاحب البيت. والقراءة أيضا حالها مثل هذه الحالة في رأي «كريشنان ناير». يمكنك أن تتجاهل كتابا تاركا إياه لتبرد سخونته ومن ثم تقرأه في جلسة واحدة دون أن تفهم شيئا من مضمونه، كما يمكنك قراءته قراءة جادة بأخذ وقت كاف لتفهم مضمونه جيدا. وهذا الأخير من نوع القراءة هي القراءة المفيدة.

ماذا يقصد المؤلف بعنوان الكتاب «لحاسة الثامنة»؟ الحواس الخمس معروفة. وهي السمع والبصر واللمس والتذوق والشم. تلك أدوات يستعملها الإنسان للتفاعل مع ما حوله. وبما أن الإنسان ليس مخلوقا من عناصر مادية بحتة نفترض فوق هذه الحواس الخمس حاسة سادسة. يسميها الكاتب النفس. فما الحاسة السابعة والثامنة؟ نجد التفاصيل عنهما في الفصل الأخير من الكتاب بعنوان «التغلب على الشهوات». يرتئي الكاتب أن الحواس لا تقتصر في الستة بل تتجاوزها. وهي ما توصل إليه من استنتاجه من قراءة بعض ملاحظات الإمام الغزالي. يقول إن أفكار الإمام الإصلاحية ناتجة من محاولته لدراسة نفس الإنسان في عمقها. وهذه الأفكار لا ترى شهوات الإنسان الجسدية سخيفة ولا ذليلة. وهي نفس نظرة الإسلام. يعترف الإسلام بوجود العالم المادي ويحترم غرائز الإنسان الجسدية مع ما يتبنى من أفكار روحانية. ونظام أخلاق الإسلام لا يقوم على إعدام الشهوات النفسية بل يقوم على